

توجيه التباين الدلالي للمشتق من أصل واحد في القراءات القرآنية الجزء الأول من القرآن أنموذجاً

إعداد

سعدى علي عبد القادر أبو صيني

استاذة في مركز اللغات الجامعة الاردنية

E-mail: sadaabsn@yahoo.com

الملخص

اعتنت هذه الدراسة بموضوع توجيه التباين الدلالي للمشتق من أصل واحد في القراءات القرآنية، وقد اقتصر البحث على الجزء الأول من القرآن الكريم أنموذجاً، إذ وصف البحث صوراً من المشتق من أصل واحد في القراءات المتواترة، ثم أوضح بنماذج مقتضبة تمثل آلية توجيه التباين الدلالي الناشئ عن تباين صورة المشتق من أصل واحد، بعرضها على تفسيري الطبري والقرطبي، وقد خلصت الدراسة إلى أن توجيه التباين الدلالي للمشتق من أصل واحد كان في جله استعراضاً لغوياً، وتبارياً بين النحويين والمفسرين، متجاهلين خطورة ذلك في ردّ قراءات متواترة، وما يشكله من طعن مباشر وغير مباشر في آيات الله.

الكلمات المفتاحية: التوجيه الدلالي، المشتق من أصل واحد. القراءات القرآنية

Summary

The research has focused on the first part of the Holy Quran as a model. The research described types of the derivative of one origin in the frequent readings, and then explained in brief models that represent the mechanism of directing the semantic variation resulting from the Quranic readings. The study concluded that the direction of the semantic variation of the derivative of one origin was a linguistic review, and a test between the grammarians and the interpreters, disregarding the seriousness of this in the response to frequent readings, and the causes of direct or indirect doubts in the Holy Quran.

Keywords: Semantic Direction, Derivation of One Origin. Quranic readings

المقدمة:

الحمد لله حمدًا يليق بجلال كماله، يُطلب بعده رضاه وستره ولطف قدره وفيض نواله، والصلاة والسلام على نبيه وخاتم رسله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله، وبعد:

فإنني شرفت في طيات هذا البحث الآتية بالأنس بكتاب الله وتفكر آية؛ إذ إن مادته هي توجيه التباين الدلالي للمشتق من أصل واحد في القراءات القرآنية، وقد ظلت آيات الكتاب العزيز محل البحث لمن سخرهم الله لذلك، وبحث الأقدمون والمحدثون في جوانبه كلها، ومن هذه الجوانب أبنية صيغ تشترك في أصل واحد ولكنها تتباين في المعنى، فظهرت لدارسيها علامات إعجاز هذا الكتاب المبين، ولم يكن مجيء تلك الأبنية حشواً أو تكراراً لاستحالة ذلك في كتاب الله: (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) فصلت ٤٢. فاختلاف الصيغة بين المعرف والمنكر والتذكير والتأنيث. إلخ، إنما هو لحكمة وغاية، أدركناها أم لم ندركها، وقد أشار الخطيب الإسكافي إلى ذلك الاختلاف في الصيغ المشتقة من أصل واحد في القرآن بوجه العموم بقوله: "إذا أورد الحكيم - تقدست أسماؤه - آية على لفظة مخصوصة، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غير لفظة عما كانت عليه في الأولى فلا بد من حكمة تُطلب، وإن أدركتموها فقد ظفرت، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمة هناك، بل جهلتم"،^١ كما أنّ ما يرد في الكتاب العزيز "مما ظاهره التكرار، زيادة فائدة، أو تميم معنى، أو لبناء غيره من الكلام عليه"^٢، وقد التفت غير واحد من القدماء والمحدثين إلى بيان دلالات الصيغ المختلفة التي تشترك في أصل واحد، إلا أن بحثاً متخصصاً في التباين الدلالي للمشتق من أصل واحد في القراءات القرآنية لم يكن مما وقعت على شيء منه، فأتت لكثرة ما عمل به في مجال التوجيه النحوي للقراءات أن أفرد في هذا البحث توجيه التباين الدلالي في القراءات القرآنية لما اشتق من أصل واحد.

ومن المسلم به أن القرآن الكريم كتاب محكم، وإنما اختلاف القراءة في الموضوع الواحد المشتق من أصل واحد لا بد أن له توجيهاً دلاليًا، ستكون مهمة هذا البحث تجليته.

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة الحالية في أنها تبحث في إشكالية التباين الدلالي للمشتق من أصل واحد في القراءات القرآنية، وتوضيح مواطن اتفاق المفسرين والنحاة واختلافهم، وآلية توجيههم لها، وذلك من خلال وصف القراءة المختلف فيها، وعرض آراء المفسرين والنحاة في توجيهها، والترجيح بينها بما ينسجم مع السياق ويتفق مع المعنى الدلالي له.

الدراسات السابقة:

اعتنت الدراسة الحالية بعدد من الدراسات السابقة كان من أهمها:

^١ الإسكافي، محمد بن عبد الله الخطيب، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق الدكتور محمد مصطفى آيدين، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٢هـ، ص ٢٥٠.

^٢ الغرناطي، أحمد بن إبراهيم، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه من أي التنزيل، تحقيق الدكتور محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ. ج ١ ص ١٣٣.

- التوجيهات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية لقراءة يزيد بن قطيب الشامي، رسالة ماجستير، إعداد: عبد المجيد السوالقة، إشراف: عبد القادر مرعي، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠١٢م.
- قواعد نقد القراءات القرآنية دراسة نظرية تطبيقية، رسالة دكتوراة، إعداد: عبد الباقي بن عبد الرحمن سيبي، إشراف إبراهيم الدوسري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٩م.
- التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في التفسير الكبير للطبراني، رسالة دكتوراة، إعداد: أمل العمري، إشراف: محمد حسن عواد، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠٨م.
- القراءات المتواترة في تفسير الزمخشري، رسالة دكتوراة، إعداد: محمد محمود الدومي، إشراف: محمد علي حجازي، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٥م.
- التحليل الدلالي للقراءات التفسيرية في المحتسب لابن جني، دراسة في الترادف المظنون، إعداد: محمد جعفر محيسن العارضي، جامعة القادسية، كلية الآداب، العراق.
- التوجيه اللغوي والنحوي للقراءات القرآنية في تفسير الزمخشري، رسالة ماجستير، إعداد: عبدالله سليمان محمد أديب، إشراف: عبدالستار فاضل النعيمي، جامعة الموصل، العراق، ٢٠٠٢م.
- التوجيه النحوي للقراءات في كتاب الحجة في القراءات السبع لابن خالويه، رسالة ماجستير، إعداد: آلاء محمد المطيري، إشراف: نضال حسن سلمان، جامعة الكوفة، العراق، ٢٠٠٢م.
- القراءات القرآنية المتواترة في (غريب القرآن) للسجستاني، بحث منشور، إعداد: صالح مهدي عباس، مجلة المورد، المجلد الثامن والعشرون، العدد الرابع، ٢٠٠١م.

خطة الدراسة:

تقع الدراسة في مبحثين كما يأتي:

المقدمة:

المبحث الأول: المشتق من أصل واحد في القراءات القرآنية

المطلب الأول: القراءة المتواترة حدها وقراؤها.

المطلب الثاني: صور المشتق من أصل واحد في القراءات القرآنية

المبحث الثاني: توجيه التباين الدلالي للمشتق من أصل واحد في القراءات القرآنية

المطلب الأول: في الأسماء

المطلب الثاني: في الأفعال

الخاتمة والنتائج.

١. المبحث الأول: المشتق من أصل واحد في القراءات القرآنية

١,١ المطلب الأول: القراءة المتواترة حدها وقراؤها.

يتحدد مفهوم القراءة المتواترة عند ابن الجزري بقوله: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة، التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أُطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عن من هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ونصّ عليه في غير موضع الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب، وكذلك الإمام أبو العباس أحمد ابن عمار المهدي، وحققه الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، وهو مذهب السلف الذي لا يُعرف عن أحد منهم خلافه"^(٣). وقد وافق ابن الجزري في تلك الشروط الثلاثة غير واحد ممن اعتنوا بالقراءات القرآنية وعلومها، وهي خلاصة ما اتفق عليه في حد القراءة المتواترة^(٤).

والقراءة المتواترة كمصطلح لم تقف عند حدودها الشكلية في مفهوم اللغويين والمفسرين؛ بل تجاوزت ذلك إلى بعدٍ عقديّ يقطع بالتسليم بها، باعتبارها سنةً ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي بذلك تنتزه في فهم اللغويين والمفسرين عن الشك والظن، أو الرد والإنكار، بمعنى أنها تكتسب ثبوتها وصحتها من صحة نقلها لا من كونها صحيحة في ذاتها، إذ يتلاشى معيار صحتها اللغوية أمام ثبوتية نقلها، وإن أبقى عليه من وضعوا حدها وجعلوه أحد شروطها الثلاثة السابقة ووسموه بموافقتها العربية لو بوجه.

وخلال البحث في سير وتراجم القراء يجمع المحدثون وأعلام علم الحديث على صحة نقلهم للقراءات، إلا أنهم يختلفون فيهم بنقل الحديث، ولعلّ احترازهم في نقل القراءة كان لاختصاصهم بها، وهذا ما لم يتوفر في نقلهم للحديث، وقد يقع في قلب من يحكم عليهم شيء من الشك في صحة ما نقلوه من القراءات؛ لذا رأيت أن أوجز فيما يأتي ترجماتهم، وأقوال المحدثين في نقلهم للحديث.

^٣الجزري، محمد بن محمد: النشر في القراءات العشر، ج ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٩.

^(٤) ينظر: القيسي، مكي بن أبي طالب: الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر،

- **نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي:** (٥) كان إمام أهل المدينة في القراءة، وكان يقرئ الناس بالقراءات كلها، قال عنه مالك بن أنس: نافع إمام الناس في القراءة (٦)، وقال: قراءة أهل المدينة سنة، قيل له: قراءة نافع؟ قال: نعم. (٧) قرأ عليه كثيرون منهم: مالك بن أنس، وإسماعيل بن جعفر، وسليمان بن مسلم، وإسحق المسيبي، وقالون، وورش، وغيرهم. (٨)

أما ما أطلق عليه من أحكام في نقله للحديث فقد اختلفت الآراء فيه؛ إذ قال عنه أحمد بن حنبل: كان يؤخذ عنه القرآن وليس في الحديث بشيء (٩)، وقد ورد ذكره عند ابن حبان في الثقات (١٠)، وقال عنه ابن عدي: لم أر له شيئاً منكراً، وأرجو أنه لا بأس به (١١)، وقال عنه ابن معين: ثقة (١٢).

- **عبد الله بن كثير، بن عمرو، بن عبد الله، الداري المكي:** (١٣) أبو معبد، وقيل أبو محمد، وقيل أبو بكر، وقيل: أبو عباد، وقيل: أبو المطلب، إمام أهل مكة في القراءة، تصدر للإقراء وصار إمام أهل مكة في ضبط القرآن. كان

(٥) تنظر ترجمته في: ابن خلكان، شمس الدين: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج ٥، ص ٣٦٨. وينظر: الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، ط ٩، ج ٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٣٣٦-٣٣٨. وينظر: ابن أبي حاتم، عبد الرحمن: الجرح والتعديل، ط ١، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٥٢م، ص. وينظر: السخاوي، علم الدين: جمال القراء وكمال الإقراء، ط ١، ج ٢، تحقيق: علي البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ١٩٨٧م، ص ٤٤٧. وينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد: غاية النهاية في طبقات القراء، ج ٢، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٣٢م، ص ٣٣٠. وينظر: ابن العماد، عبد الحي بن أحمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط ٢، ج ١، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٢٧٠.

(٦) مالك بن أنس بن مالك الحميري، ولد سنة ٩٣هـ، صاحب مذهب المالكية، وأحد الأئمة الأربعة، توفي سنة ١٧٩هـ. ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٣٥.

(٧) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٣٠. الذهبي، محمد بن أحمد: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: بشار معروف وآخرون، ط ١، ج ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٠٨.

(٨) ينظر: الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، مرجع سابق، ج ١، ص ١٠٩.

(٩) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، مرجع سابق، ج ٨، ص ٤٥٦. الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، مرجع سابق، ج ١، ص ١١١.

(١٠) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد: الثقات، ط ١، ج ٧، تحقيق: شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٥م، ص ٥٣٢.

(١١) الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، مرجع سابق، ج ١، ص ١١١.

(١٢) المرجع السابق: ص ١١٣.

(١٣) تنظر ترجمته في: ابن خلكان: وفيات الأعيان، مرجع سابق، ج ٣، ص ٤١-٤٣. وينظر: ابن العماد: شذرات الذهب، مرجع سابق، ج ١، ص ١٥٧. وينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٥، ص ٣١٨-٣٢٢.

- فصيحا بليغاً، قال عنه الأصمعي : كان ابن كثير أعلم بالعربية من مجاهد بن جبر ، وما زال هو الإمام المجمع عليه بالقراءة حتى مات سنة (١٢٠ هـ)
- أما ما أطلق عليه من أحكام في نقله الحديث فقد اجتمعت على أنه ثقة، وقد نقلت أحاديثه في الكتب الستة^(١٤).
- **زبان بن العلاء عمار بن العريان المازني البصري (أبو عمرو):**^(١٥) ولد بمكة سنة (٦٨ هـ) أو (٧٠ هـ)، ونشأ بالبصرة ، ومات بالكوفة في عهد المنصور، قرأ على كثيرين، وكان عالماً بالعربية، وقرأ عليه كثيرون، توفي سنة (١٥٤ هـ) وليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه، سمع أنس بن مالك كان عالماً بالقرآن والعربية، قال عنه يونس بن حبيب حين حضر يعزي أولاده: نعزيكم وأنفسنا بمن لا نرى شبيهاً له آخر الزمان، والله لو قسم علم أبي عمرو وزهده على مائة إنسان لكانوا كلهم علماء زهاداً، والله لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسره ما هو عليه^(١٦) .
- أما في روايته للحديث فقد اتفق المحدثون على أنه ثقة، وقد وردت أحاديثه عند أبي داود وابن ماجه^(١٧).
- **عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي الدمشقي (أبو عمران):** اختلف في مولده؛ فقيل: سنة (٢١ هـ) وقيل سنة (٨ هـ)، كان إمام أهل الشام في القراءة، قرأ على أبي الدرداء رضي الله عنه^(١٨)، وقيل أنه سمع من عثمان بن عفان نفسه، وقرأ عليه سنة وأربعون قارئاً^(١٩)، توفي سنة (١١٨ هـ) في عهد هشام بن عبد الملك.
- أما في روايته للحديث فقد اتفق المحدثون أمثال: أحمد بن عبد الله العجلي، وابن حبان، وأبي حاتم على أنه ثقة^(٢٠).
- **عاصم بن أبي النجود الأسدي (أبو بكر):** كان مقرئ الكوفة، وقد اختلف في الاسم الذي لحق أول اسمه (بهذلة)؛ إذ رأى الذهبي أنه اسم أبيه، فيما رآه ابن الجزري أنه اسم أمه. وهو عالم بالنحو، وكان ممن لقي بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرأ عليهم^(٢١).
- أما منزلته في روايته للحديث، فقد تباينت أقوال المحدثين فيها؛ إذ قال فيه أحمد بن حنبل فيما ينقله ولده عبد الله: رجل صالح خير ثقة^(٢٢)، وقال عنه يحيى بن معين: ليس به بأس^(٢٣)، أما يعقوب بن سفيان فقال: في حديثه اضطراب، وهو ثقة، وقال عنه الدارقطني: في حفظه شيء^(٢٤).

(١٤) ينظر: الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، مرجع سابق، ج ١، ص ٨٦-٩٠.

(١٥) المرجع السابق: ج ١، ص ١٠١.

(١٦) ينظر: ابن الجزري، شمس الدين: غاية النهاية في طبقات القراء، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٩٢.

(١٧) ينظر: الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، مرجع سابق، ج ١، ص ١٠٤. وينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٦، ص ٤١٠.

(١٨) تنظر ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٩٢-٢٩٣. وينظر: الذهبي: معرفة القراء الكبار

على الطبقات والأعصار، مرجع سابق، ج ١، ص ٨٢. وينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد: غاية النهاية في طبقات القراء،

مرجع سابق، ص ٤٢٣-٤٢٥.

(١٩) ينظر: السخاوي، علم الدين: جمال القراء وكمال الإقراء، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٥٧.

(٢٠) ينظر: الذهبي: معرفة القراء الكبار، مرجع سابق، ج ١، ص ٨٥. وينظر: ابن حبان: الثقات، مرجع سابق، ج ٥، ص ٣٧.

وينظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٢٢.

(٢١) ينظر: الذهبي: معرفة القراء الكبار، مرجع سابق، ج ١، ص ٨٨.

(٢٢) المرجع السابق، ج ١، ص ٩٠.

- حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزييات الكوفي (أبو عمارة): كانت له الإمامة في الإقراء بعد عاصم، كان حجة ثقةً ثبتاً بصيراً بالفرائض عالماً بالعربية، حافظاً للحديث، توفي سنة (١٥٦ هـ). (٢٥)
- أما عن منزلته في الحديث فقد اختلف المحدثون في الحكم عليها؛ فقال فيه أحمد بن حنبل: ثقة في الحديث (٢٦)، وقال النسائي وغيره: ليس به بأس (٢٧)، وقد وثقه ابن حبان والعجلي (٢٨)، أما الذهبي فجعله حديثه لا ينحط عن رتبة الحسن (٢٩).
- علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي الكسائي الكوفي (أبو الحسن): انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزييات، وأخذ اللغة عن الخليل بن أحمد، فصار إماماً في القراءات واللغة والنحو، وإماماً للمدرسة النحوية الكوفية، توفي سنة (١٨٩ هـ). (٣٠)
- أما عن منزلته في الحديث فقد ورد ذكره في كتب الثقات (٣١).

٢,١ المطلب الثاني: نماذج صور المشتق من أصل واحد في القراءات القرآنية

أولاً: في سورة الفاتحة: اختلفت صورة المشتق من أصل واحد في قراءات سورة الفاتحة في الاسم بصيغ شتى، وبين الاسم والفعل، ومن ذلك قراءات كلمة ﴿مالك﴾ في الآية ﴿مالك يوم الدين﴾ الفاتحة: ٤، حيث جاءت قراءاتها في الأسماء:

مالك: على وزن (فاعل)، وهي قراءة عاصم والكسائي وخلف ويعقوب وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز بخلاف عنهما، وابن مسعود وطلحة والزبير وغيرهم (٣٢).

(٢٣) ينظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٤٠.

(٢٤) المرجع السابق.

(٢٥) ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢١٦. وينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق،

ج ٧، ص ٩٠-٩٢. وينظر: ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٦١.

(٢٦) ينظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، مرجع سابق، ج ٣، ص ٢٠٩.

(٢٧) المرجع السابق

(٢٨) ينظر: ابن حبان: الثقات، مرجع سابق، ج ٦، ص ٢٨٨. وينظر: العجلي، أحمد بن عبد الله: معرفة الثقات، ط ١، ج ١،

تحقيق: عبد العليم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المتورة، ١٩٨٥م، ص ٣٣١

(٢٩) ينظر: الذهبي: معرفة القراء الكبار، مرجع سابق، ج ١، ص ١١٧.

(٣٠) ينظر: ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٢. وينظر: الذهبي: معرفة القراء الكبار،

مرجع سابق، ج ١، ص ١٢٠.

(٣١) ابن حبان: الثقات، مرجع سابق، ج ٨، ص ٤٥٧.

(٣٢) الخطيب، عبد اللطيف، معجم القراءات، ط ١، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٢م، ج ١، ص ٨.

مَلِكٌ: على وزن (فَعَلَ)، وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة وأبي عمرو وزيد وغيرهم^{٣٣}

مُلْكٌ: على وزن (فَعَلَ)، وهي قراءة أبي هريرة وعاصم والجحدري^{٣٤}

مَلِكٌ: على وزن (فَعَلَ)، وهي قراءة أبي عثمان النهدي والشعبي وعطية ونسبها ابن عطية إلى أبي حيوة^{٣٥}

أما قراءتها في الأفعال:

مَلِكٌ: على وزن (فَعَلَ)، وهي قراءة أنس بن مالك وعلي بن أبي طالب وأبي حيوة وأبي حنيفة وجبير بن مطعم، وهي رواية عن حمزة^{٣٦}

وأما الاختلاف في الفعل فكما ورد في قوله ﴿نَعْبُدُ﴾ في الآية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ {الفاحة: ٥، حيث جاءت:

نَعْبُدُ: وهي قراءة الجمهور^{٣٧}

يُعْبَدُ: مبنياً للمفعول، وهي قراءة الحسن وأبي مجلز وأبي المتوكل^{٣٨}

ثانياً: في سورة البقرة:

في الأفعال:

أُنزِلَ: في الآية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْآخِرَةَ هُمْ يُؤْتُونَ﴾ [البقرة: ٤]، قرأ الجمهور بالبناء على

المفعول^{٣٩}.

أُنزِلَ: بالبناء للفاعل، وهي قراءة النخعي وأبي حيوة ويزيد بن قطيب^{٤٠}

يُخَادِعُونَ: مضارع خادع، في الآية ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩] وهي

قراءة حفص عن عاصم، ونافع وابن كثير وأبي عمرو^{٤١}.

يَخْدَعُونَ: مضارع خدع، وهي قراءة عبد الله وأبي حيوة^{٤٢}.

^{٣٣} المرجع السابق: ص ٩.

^{٣٤} نفسه. ص ٩

^{٣٥} نفسه. ص ٩

^{٣٦} نفسه، ص ١٠.

^{٣٧} نفسه ص ١٤.

^{٣٨} نفسه. ص ١٤

^{٣٩} نفسه، ص ٣١.

^{٤٠} نفسه. ص ٣١

^{٤١} نفسه، ص ٤١.

^{٤٢} نفسه. ص ٤١

يُمْدُهُمْ: من مدّ الثلاثي في الآية ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥] وهي قراءة الجمهور^{٤٣}
يُمْدُهُمْ: من الرباعي أمدّ، وهي قراءة ابن محيصن وشبل وابن كثير^{٤٤}.

ذَهَبَ: الثلاثي المجرد في الآية ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧].

أَذْهَبَ: الرباعي، وهي قراءة اليماني^{٤٥}.

أُظْلِمَ: مبني للفاعل في الآية ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّا اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] وهي قراءة الجمهور^{٤٦}.
أُظْلِمَ: مبني للمفعول، وهي قراءة يزيد بن قطيب والضحاك^{٤٧}.

أُعِدَّتْ: مبني للمفعول من أعدّ في الآية ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَئِن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] وهي قراءة الجمهور^{٤٨}.

أُعِدَّتْ: من العتاد بمعنى العدة، وهي قراءة عبد الله^{٤٩}.

فَازِلَهُمَا: في الآية ﴿فَارَاهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقَلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦] وهي قراءة الجمهور^{٥٠}.

^{٤٣} نفسه، ص ٤٩.

^{٤٤} نفسه. ٤٩.

^{٤٥} نفسه. ص ٥٣.

^{٤٦} نفسه، ص ٥٩.

^{٤٧} نفسه. ص ٥٩.

^{٤٨} نفسه، ص ٦٥.

^{٤٩} نفسه. ص ٦٥.

فَأَزَلَّهُمَا: وهي قراءة الحسن وأبي رجاء وحمزة وعاصم والأعمش^{٥١}.

في الأسماء:

سمعهم: بالإفراد في الآية ﴿حَتَّمَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧] وهي قراءة الجمهور^{٥٢}.

أسماعهم: بالجمع، وهي قراءة عمرو بن العاص وابن أبي عبيدة^{٥٣}.

مرض، مرضاً: بفتح الراء في الموضعين في الآية ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠] وهي قراءة الجمهور^{٥٤}.

مرض، مرضاً: بتسكين الراء في الموضعين، وهي قراءة الأصمعي، وهي رواية الجهضمي ويونس عن أبي عمرو.

خَطَايَاكُمْ: بالجمع في الآية ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَتْرِدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨] وهي قراءة الجمهور^{٥٥}.

خطيبتكم: بالرفع والإفراد، وهي قراءة الحنجري والأعمش وقتادة والحسن وعاصم. وبالنصب والإفراد قرأ الأعمش^{٥٦}.

تجارتهم: بالإفراد في الآية ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْأَعْدَى فَمَا رِيحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] وهي قراءة الجمهور^{٥٧}.

تجاراتهم: بالجمع، وبها قرأ ابن أبي عبيدة^{٥٨}.

^{٥٠} نفسه، ص ٨٣

^{٥١} نفسه. ص ٨٣

^{٥٢} نفسه، ص ٣٧.

^{٥٣} نفسه، ص ٤٣.

^{٥٤} نفسه. ص ٤٣

^{٥٥} نفسه، ص ١٠٧.

^{٥٦} نفسه. ص ١٠٧

^{٥٧} نفسه، ص ٥٢.

أندادا: على الجمع في الآية ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْمَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] وهي قراءة الجمهور.^{٥٩}

نُدًا: على الأفراد، وهي قراءة زيد بن علي ومحمد بن السميع.^{٦٠}

٢. **المبحث الثاني:** توجيه التباين الدلالي للمشتق من أصل واحد في القراءات القرآنية.

١،٢ المطلب الأول: في الأسماء

بعد عرض نماذج صور المشتق من أصل واحد في القراءات القرآنية، نعرض هنا لأهم مواضع التباين الدلالي؛ ففي قراءة (مالك) من سورة الفاتحة كانت دلالات القراءات كما يأتي:

مالك: اسم الفاعل من الفعل (ملك) ويعني من يملك، وقد جاء في تفسير الطبري أن "القرءاء مختلفون في تلاوة (ملك يوم الدين) فبعضهم يتلوه "مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ"، وبعضهم يتلوه (مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ) وبعضهم يتلوه (مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ) بنصب الكاف.. ولا خلاف بين جميع أهل المعرفة بلغات العرب، أن المَلِكُ من "المَلِكُ" مشتق، وأن المالك من "المَلِكُ" مأخوذ. فتأويل قراءة من قرأ ذلك (مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ)، أن الله المَلِكُ يوم الدين خالصاً دون جميع خلقه، الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكاً جبابرة ينازعونه الملك، ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية.. وأما تأويل قراءة من قرأ (مالك يوم الدين) فما حدثنا به أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمار، قال: حدثنا أبو روق، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس: (مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ)، يقول: لا يملك أحدٌ في ذلك اليوم معه حكماً كملكهم في الدنيا. ثم قال: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ﴾

أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ سورة النبأ: ٣٨ وقال: ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ سورة طه: ١٠٨. وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ (83) سورة الأنبياء: ٢٨.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالآية، وأصحُّ القراءتين في التلاوة عندي، التأويلُ الأول، وهي قراءة من قرأ "مَلِكُ" بمعنى "المَلِكُ". لأن في الإقرار له بالانفراد بالمَلِكِ، إيجاباً لانفراده بالمَلِكِ، وفضيلة زيادة المَلِكِ على المالك، إذ كان معلوماً أن لا مَلِكُ إلا وهو مالكٌ، وقد يكون المالك لا ملكاً^{٦١}.

وقد أورد القرطبي في تفسيره توجيهاً للمفاضلة بين مالك وملك، وذكر من كلام أهل اللغة من يجعل مالك أفضل من ملك، والحجج في ذلك دلالية^{٦٢}، ولعلنا نجد في توجيه الطبري للقراءة ميله الدلالي الذي افترض أن دلالة الملك أقوى من دلالة

^{٥٨} نفسه، ص ٥٢.

^{٥٩} نفسه، ص ٦٤.

^{٦٠} نفسه، ص ٦٤.

^{٦١} الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري، جامع البيان، عن تأويل آي القرآن، ط ١، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، دار

هجر للطباعة والنشر، ٢٠٠١م، ج ١، ص ١٤٩-١٥٠.

المالك، وهو توجيه مقبول من وجهة نظر الباحثة، لكنه لا ينفي صحة القراءة عند من قرأ مالك على اسم الفاعل، إذ لا ينفي أن يكون المالك في أصله ملكاً بالذي ملكه، لا بالملك بالكلية.

إن اختلاف المفسرين في توجيه دلالة المشتق من أصل واحد في القراءة القرآنية المتواترة لا يعني بحال أن يكون لهم الحق في نقد صحتها أو ردها، إذ ظهرت ملامح تأخير القرآن الكريم في الحجة على اللغة على استحياء في ردّ بعض النحاة بعض القراءات المتواترة فيه، وفي ذلك قطع العديد من النحاة الطريق على أولئك؛ فنكروهم أن "الأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفضى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل والرواية. إذا ثبت عنهم لم يردّها قياس عربية، ولا فشو لغة، لأن القراءة سنة متبعة، فلزم قبولها والمصير إليها"^(٦٣).

ولعلنا هنا نميز بين أمرين في اعتبار القرآن الكريم وقراءاته المتواترة حجة على اللغة:

الأول: أن القرآن الكريم كلام الله، بلغة العرب، بلسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن قراءاته المتواترة صحيحة السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه أول كتاب جمع قبل التعميد والنحو، وأن الحجة فيه على اللغة ثابتة بثبوت نقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أفصح العرب لساناً بالإجماع.

الثاني: أن جل النحاة حين أرادوا وضع قواعد اللغة وضعوا القرآن الكريم مصدراً أساسياً، استنبطوا منه القواعد، وجاءوا لها بالشواهد من حروفه وكلماته وسياقاته. ومن ذلك ما فعله البصريون والكوفيون بالاستشهاد لقواعدهم، إذ زاد ذلك عن ثلاثين موضعاً كما بينه صاحب الإنصاف^{٦٤}.

وأما من ردّ بعض القراءات فقد استثنى الأمر الأول، وغفل عن الثاني، واعتد بما هو فرع على ما هو أصل؛ إذ لم تخرج فلسفة من ردوا القراءة المتواترة عن كونهم:

أولاً: استثنوا ثبوت القراءة بالسند والتواتر، فجعلوا المعيار ما اجتمع لديهم من لغة، بالرغم من أن جلّ قواعدها استنبطت من القرآن الكريم.

ثانياً: أعطوا الثبوت للقاعدة على محل استنباطها، فبرروا محاكمة القراءة وهي أصل بإخضاعها للقاعدة وهي فرع، وهذا مخالف للعقل.

ثالثاً: ادعوا بأنهم أحاطوا وجوه اللغة كلها، فحكموا على القراءة بالمخالفة، وهو ما لم ولن يتأتى لأحد.

رابعاً: اعتدوا بأقوال الشعراء وعربية الأعراب غير ثابتة النقل والتوثيق، وجعلوها قبل القراءة التي تحتكم إلى سند وتنطوي على دقة ورجال ثقات.

^{٦٢} القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، ط ٢، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج ١، ص ١٤٠-١٤١.

^(٦٣) الجزري، محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ): منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٧٧-٧٨.

^{٦٤} ينظر: الأنباري، أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ط ١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م.

خامساً: ردّوا القارئ وخطئوه ليدروا الخطأ عن القراءة، أو ليحتموا من نقد الناقد، بإلقاء اللحن في لسان القارئ ونفيه عن القراءة. وفي ذلك يقول ابن جني في تعليقه على قراءة أبي عمرو بإشمام الحروف وردة على سيبويه: "لم يوت القوم في ذلك من ضعف أمانة، وإنما أتوا من ضعف دراية"^{٦٥}

وفي مثل ذلك قال ابن حزم: " لا يحل لأحد خلاف الله تعالى فيما أنزله وحكم به وهو تعالى خالق اللغة وأهلها فهو أملك بتصريفها وإيقاع أسمائها على ما يشاء ولا عجب أعجب ممن أوجد لأمرئ القيس أو لزهير أو لجريز أو الحطيئة والطرماح أو لأعرابي أسدي بن سلمى أو تميمي أو من سائر أبناء العرب، بوال على عقبيه، لفظا في شعر أو نثر جملة في اللغة، وقطع به ولم يعترض فيه، ثم إذا وجد الله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاما لم يلتفت إليه، ولا جعله حجة، وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن مواضعه ويتحيل في إحالته عما أوقعه الله عليه، وإذا وجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلاما فعل به مثل ذلك، وتالله لقد كان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم قبل أن يكرمه الله تعالى بالنبوة، وأيام كونه فتى بمكة، بلا شك عند كل ذي مسكة من عقل، أعلم بلغة قومه، وأفصح فيها، وأولى بأن يكون ما نطق به من ذلك حجة من كل خندفي، وقيسي، وربيعي، وإيادي، وتميمي، وقضاعي، وحميري، فكيف بعد أن اختصه الله تعالى للندارة، واجتباها للوساطة بينه وبين خلقه، وأجرى على لسانه كلامه، وضمن حفظه، وحفظ ما يأتي به" (٦٦).

ويظهر من كلام ابن حزم أن ردّ بعض النحاة للقراءات المتواترة ينطوي على إنكار ثبوت نقلها، وتقديم كلام العرب عليها، وفي ذلك طعن مقبوت، وخروج عن موازين العقل كما يظهر لنا بعد عرض آراء جل النحاة في أن الحكم على القراءة بصحتها اللغوية يغلب على عدم القدرة على إحاطتها كلغة في العربية، أو كوجه نحوي ساذج، ولا يستند في الأخير لردّ القراء، وعليه فإن فلسفة ردّ المتواتر من القراءة فلسفة قائمة على مبدأ فاسد من وجوه:

الأول: أنه يعتمد قواعد النحو الطارئة في العربية المتأخرة عن القرآن، المأخوذة في جملها منه، وهو ما ينافي منطق السير في الأشياء إذ لا يعد الفرع حكماً على الأصل، فالقواعد فرع والقرآن أصل.

الثاني: أن ثبوت القراءة وصحة سندها وتواترها يقطع بالأخذ بها باعتبار مصدرها، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورد ما ثبت عنه يحمل على وجه إنكار ثبوت القراءة في أحسن الأحوال، وبالتالي إنكار ثابت من السنة، فضلاً عن احتمال الوجه الثاني: وهو المساس بفصاحة النبي صلى الله عليه وسلم، واللمز في عربية القرآن.

ثالثاً: أن القراء على وجه العموم والسبعة بخاصة، خضعوا لعلم الجرح والتعديل، ونقدوا فتبينوا ثقات حتى في نقل الحديث الشريف، كما أن جلهم نحاة عارفون باللغة.

وقد تبين لي بعد البحث والاستقصاء أن فلسفة ردّ القراءة المتواترة تنبني على قصور علمي في شخص من ردها لا أكثر، وتعنّت في الرأي قد يكون دافعه في مواضع كثيرة حب الظهور بالمخالفة.

٢,٢ المطلب الثاني: في الأفعال

^{٦٥} ابن جني، أبو الفتح: الخصائص، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج١، ص٧٣-٧٤.

(٦٦) الأندلسي، ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج٣، ص١٠٧-١٠٨.

يمدهم: اختلف القراء كما سبق أن الفعل من الثلاثي مَدَّ، أو من الرباعي أمد، وقد تطرق إلى مثل ذلك الطبري بقوله: "قال بعضهم بما حدثني به، موسى بن هارون.. وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَيَمْدُهُمْ ﴾ [البقرة: ١٥]

يُمْلِي لَهُمْ" وَقَالَ آخَرُونَ ﴿ وَيَمْدُهُمْ ﴾ [البقرة: ١٥] قَالَ: يَزِيدُهُمْ وَكَانَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْبَصْرَةِ يَتَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّهُ بِمَعْنَى: يَمْدُ لَهُمْ، وَيَزَعُمُ أَنَّ ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ الْعَرَبِ: الْغُلَامُ يَلْعَبُ بِالْكَعَابِ، يُرَادُ بِهِ يَلْعَبُ بِالْكَعَابِ. قَالَ: وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ يَقُولُونَ قَدْ مَدَدْتُ لَهُ وَأَمَدَدْتُ لَهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَعْنَى، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُمْ ﴾ [الطور: ٢٢] وَهَذَا مِنْ أَمْدَدْنَاهُمْ، قَالَ: وَيُقَالُ قَدْ مَدَّ الْبَحْرُ فَهُوَ مَادٌّ، وَمَدَّ

الْجُرْحُ فَهُوَ مُمِدٌّ.. وَأَمَّا بَعْضُ نَحْوِيِّ الْكُوفَةِ فَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: كُلُّ زِيَادَةٍ حَدَّثَتْ فِي الشَّيْءِ مِنْ نَفْسِهِ فَهُوَ مَدَدْتُ بِغَيْرِ أَلْفٍ، كَمَا تَقُولُ: مَدَّ النَّهْرُ، وَمَدَّهُ نَهْرٌ آخَرٌ غَيْرُهُ: إِذَا اتَّصَلَ بِهِ فَصَارَ مِنْهُ. وَكُلُّ زِيَادَةٍ أُحْدِثَتْ فِي الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِهِ فَهُوَ بِأَلْفٍ، كَقَوْلِكَ: أَمَدَّ الْجُرْحُ، لِأَنَّ الْمِدَّةَ مِنْ غَيْرِ الْجُرْحِ، وَأَمَدَدْتُ الْجَيْشَ بِمَدَدٍ. وَأَوْلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَيَمْدُهُمْ ﴾ [البقرة: ١٥] أَنَّ يَكُونُ بِمَعْنَى يَزِيدُهُمْ، عَلَى وَجْهِ الْإِمْلَاءِ وَالتَّرْكِ لَهُمْ فِي عُنُوقِهِمْ وَتَمَرُّدِهِمْ، كَمَا وَصَفَ رَبُّنَا أَنَّهُ فَعَلَ بِنُظَرَانِهِمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَتَلَبَّ

أَفْدَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَّ مَرَّةً وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ بِمُهْرَبٍ ﴾ [الأنعام: ١١٠] يَعْنِي نَذَرَهُمْ وَنَتَرَكُهُمْ فِيهِ وَنَمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا إِلَى إِثْمِهِمْ. وَلَا وَجْهَ لِقَوْلِ مَنْ قَالَ ذَلِكَ بِمَعْنَى يَمْدُ لَهُمْ لِأَنَّهُ لَا تَدَاوُعَ بَيْنَ الْعَرَبِ وَأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بَلَّغَتْهَا أَنْ يَسْتَجِيزُوا قَوْلَ الْقَائِلِ: مَدَّ النَّهْرُ نَهْرٌ آخَرٌ، بِمَعْنَى: اتَّصَلَ بِهِ فَصَارَ زَائِدًا مَاءَ الْمُتَّصِلِ بِهِ بِمَاءِ الْمُتَّصِلِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ مِنْهُمْ، ذَلِكَ أَنَّ مَعْنَاهُ مَدَّ النَّهْرَ نَهْرٌ آخَرٌ، فَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ بِمُهْرَبٍ ﴾ [البقرة: ١٥] ^{٦٧}

وقد أورد الطبري حجة بعض أهل البصرة وبعض أهل الكوفة في ترجيح القراءتين، لكن ما يجب النظر فيه أن ذلك التوجيه كان قد انبنى على شواهد من كلام العرب، وتفسيرات دلالية، واستشهادات من مواضع أخرى في القرآن الكريم، وعليه فإن المفاضلة في توجيه التباين الدلالي للمشتق من أصل واحد في القراءات، تطعن في القراءة طعناً غير مباشر، ولا سيما إن كانت قراءة متواترة.

وترى الباحثة أن مسألة توجيه التباين الدلالي للمشتق من أصل واحد في القراءات القرآنية المتواترة يجب أن تظل في إطار الكشف عن جماليات النص القرآني، لا أن تكون في باب المفاضلة والترجيح بين القراءات، فالقرآن كله كلام الله، وحاشى له أن يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه، أو أن يكون فيه قصور أو اضطراب.

الخاتمة:

تبين بعد هذه العجالة في البحث أن توجيه التباين الدلالي للمشتق من أصل واحد يحتاج إلى درس لغوي معمق، يدرأ شبه اضطراب القراءات التي -وبكل أسف- أسهم كبار المفسرين في جعلها تبدو كذلك من خلال صولاتهم وجولاتهم في التنافس اللغوي متناسين حقيقة كمال القرآن الكريم، وأنه هو معين اللغة الأول الذي جمع بين دفتين، وقد تبين للباحثة أن اللغويين كانوا يفتنون آثار بعضهم في نقلهم العلل والحجج والتوجيه، مستندين على شواهد مصنوعة وآراء قاصرة تجرأت على القراءات المتواترة فغمزت ولمزت فيها.

والله أسأل أن أكون قد وفقت في تجلية أثر ذلك، وما قدمت إلا جهد المقل

الباحثة

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن: الجرح والتعديل، ط ١، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٥٢م.
- الإسكافي، محمد بن عبد الله الخطيب، درة التنزيل و غرة التأويل، تحقيق الدكتور محمد مصطفى أيدين، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٢ هـ .
- الأنباري، أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ط ١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- الأندلسي، ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الجزري، محمد بن محمد: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩/٥١٤٢٠م.
- الجزري، محمد بن محمد: النشر في القراءات العشر، ج ١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الجزري، محمد بن محمد: غاية النهاية في طبقات القراء، ج ٢، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٣٢م
- ابن جني، أبو الفتح: الخصائص، ط ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد: الثقات، ط ١، ج ٧، تحقيق: شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٥م.
- الخطيب، عبد اللطيف، معجم القراءات، ط ١، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٢م.
- ابن خلكان، شمس الدين: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، ط ٩، ج ٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
- الذهبي، محمد بن أحمد: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: بشار معروف وآخرون، ط ١، ج ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م.
- السخاوي، علم الدين: جمال القراء وكمال الإقراء، ط ١، ج ٢، تحقيق: علي البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ١٩٨٧م.
- الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري، جامع البيان، عن تأويل أي القرآن، ط ١، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، دار هجر للطباعة والنشر، ٢٠٠١م.
- العجلي، أحمد بن عبدالله: معرفة الثقات، ط ١، ج ١، تحقيق: عبد العليم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٩٨٥م.
- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط ٢، ج ١، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٨م.
- الغرناطي، أحمد بن إبراهيم، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه من أي التنزيل، تحقيق الدكتور محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، ط ٢، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- القيسي، مكي بن أبي طالب: الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، ١٩٧٧م.